

أحاديث رمضان ١٤٢٧ هـ - صلاح الأمة في علو الهمة - الدرس (٢٩-٦٠) : الحديث الذي دار بين سيدنا موسى وبين رب العزة

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٦-١٠-٠٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين. أيها الإخوة الكرام، مع درس جديد من دروس صلاح الأمة في علو الهمة.

وقفات وحقائق من كلام الله لسيدنا موسى:

نقف وقفة متأنية عند هذا الكلام الذي جرى بين سيدنا موسى ورب العزة.

الحقيقة الأولى: كن لما لا ترجو أرجى منك لما ترجو:

أيها الإخوة، الحقيقة الأولى: كن لما لا ترجو أرجى منك لما ترجو كيف؟
سيدنا موسى قال:

(إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدُ عَلَى النَّارِ هُدًى)

(سورة طه)

هو ذهب إلى النار ليأتي منها بقبس، فكان تكليم الله له، فكن لما لا ترجو أرجى منك لما ترجو. ما منا واحد، ولا أستثني أحداً إلا وله قصة في معرفته الله، أو توبته، أو صلحه مع الله، أو إقباله على الله، وقد يكون لقاء عابراً مع إنسان، وقد تكون حادثة، وقد يكون دعاء، ولا يوجد إنسان إلا بسبب عابر أو طارئ أو استثنائي كان هذا الحادث سبب هدايته الله عز وجل.

الحقيقة الثانية: ما هي حقيقة (اخلع نعليك) ؟

الشيء الثاني أن هذا النبي الكريم حينما كلمه الله قال:

(فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى * إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى)

[سورة طه]

بعض العلماء أشار إلى النعلين إلى حظوظ الإنسان في الدنيا، فمن أراد الآخرة يجب أن يتخلى عن حظوظه من الدنيا، الدنيا تأتي، وهي راغمة، ولكن لا ينبغي أن تكون الدنيا هدفاً، الهدف هو الله، إلهي أنت مقصودي، ورضاك مطلوب، وقد تأتي الدنيا، أما أن تكون هي الهدف وعليها المعول، وإليها تنتهي الآمال، هي محط الرحال، فالطريق عندئذ إلى الله ليس سالكاً:

(فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى * إِنِّي أَنَا رَبُّكَ)

[سورة طه]

ما من اسم من أسماء الله الحسنى أقرب إلى الإنسان من كلمة رب، إني أنا ربك خلقتك، أمددتك بكل حاجاتك، ربيت نفسك:

(فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى)

[سورة طه]

الحقيقة الثالثة: ما هي حقيقة (إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ) ؟

بصراحة قد يكون الإنسان في واد غير مقدس، في وادي الشهوات، في وادي النساء، في وادي المال، في وادي العلو في الأرض، في وادي الخصومات. والله أيها الإخوة الكرام، والله لا أبالغ إن قلت: معظم الناس غارقون في خصومات، ومناحرات، وهمز ولمز، وبالمحاكم، كثيرون هم الذين في بيوتهم شرسون، يرفعون أصواتهم، يكيلون الصاع صاعين لزوجاتهم، يتراشقون السباب، حياتهم قطعة من الجحيم:

(إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ)

[سورة طه: ١٢]

في أي واد أنت ؟ هل أنت في وادي معرفة الله ؟ هل أنت في وادي العمل الصالح ؟ هل أنت في وادي أنك تحمل هم المسلمين ؟ إن كنت في واد مقدس كفاك الله حاجاتك، هم في مساجدهم، والله في حوائجهم، ومستحيل وألف ألف مستحيل أن تشغل بذكره وينسأك، بل من شغله ذكرى عن مسألتي أعطيته فوق ما أعطي السائلين، تشغل بذكر الله، تحمل هم الناس، تحب أن تخفف عنهم، تحب أن تعرفهم بربهم، تجهد في تبسيط الأمور، توضيح الحقائق، تأخذ بيدهم، تتفقد أحوالهم، تسعى لهدايتهم، يؤلمك ما يؤلمهم، وينسأك الله من فضله ؟ كن في الوادي المقدس، قل لي ماذا يهملك أقل لك من أنت ؟ قبل أن تنام بماذا تفكر ؟ بعد أن تستيقظ مباشرة ما الخواطر التي تأتي إليك ؟ أي هم تحمل ؟ هناك من يحمل هم طعامه وشرابه، هناك من يحمل هم الشخصى، هناك من يحمل هم المسلمين، هل تعيش للناس ؟ في أي واد أنت ؟

(إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى * وَأَنَا اخْتَرْتُكَ)

[سورة طه]

الحقيقة الرابعة: كونك مع أهل الحق عطاء كبير:

إذا سمح الله لشخص أن يلتقي مع أهل الحق، سمح له أن يكون من رواد مسجد، سمح له أن يكون طليق اللسان في ذكر الله، سمح له أن يعمل عملاً صالحاً، سمح له أن يكون محسوباً على الله، هذا عطاء كبير:

(وَأَنَا اخْتَرْتُكَ)

[سورة طه: ١٣]

الحقيقة الخامسة: تكفل الله بطالب العلم:

وأنا أقول لكم أيها الإخوة الكرام: والله ما من واحد يطلب العلم إلا ويوظفه الله عنده بشكل أو بآخر، مستحيل أن تطلب العلم، ثم لا يستعملك الله عز وجل، عبدي لي عليك فريضة، ولك علي رزق، فإذا خالفتني في فريضتي لم أخالفك في رزقك، وعزتي وجلالي إن لم ترض بما قسمته لك فلاسلطن عليك الدنيا تركض فيها ركض الوحش في البرية، ثم لا ينالك منها إلا ما قسمته لك، ولا أبالي، وكنت عندي مذموماً، أنت تريد، وأنا أريد، فإذا سلمت لي فيما أريد كفيتهك ما تريد، وإن لم تسلم لي فيما أريد أتعبتك فيما تريد، ثم لا يكون إلا ما أريد.

(وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى)

[سورة طه]

دققوا:

(إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا)

[سورة طه: ١٤]

الحقيقة السادسة: لا إله إلا الله الحق المبين:

صدقوا، وآمنوا، وتيقنوا أنه ليس هناك إلا الله، كل ما تقع أعينكم عليه من قوى البغي والعدوان هي بيد الله، كن فيكون، زل فيزول، ليس إلا الله، البطولة أن تتعامل مع الله، البطولة أن تكون مع الله، البطولة أن تجمع الهموم كلها بهم واحد، من جعل الهموم همماً واحداً كفاه الله الهموم كلها:

(إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا)

[سورة طه: ١٤]

لا رافع ولا خافض، ولا معز ولا منزل، لا رازق ولا معطي إلا الله، أيقن أن يد الله وحدها تعمل، أيقن أن الله في الأرض وفي السماء، لا إله إلا أنا طمأنك:

(إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي)

[سورة طه: ١٤]

لأنه (لا إله إلا أنا) فينبغي أن تعبدني، ينبغي أن تنقطع آمالك من غيري، ينبغي ألا تعلق أملاً على غيري، ينبغي ألا تخاف إلا مني، ينبغي ألا تخاف من غيري:

(إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي)

[سورة طه: ١٤]

الحقيقة السابعة: الصلاة أعظم العبادات:

أعظم شيء في العبادة:

(وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي)

[سورة طه: ١٤]

فاعبدني في الأمر والنهي، أما العبادة الأولى التي لا تسقط بحال ففيها معنى الصيام، وفيها معنى الحج، وفيها معنى الزكاة، وفيها النطق بالشهادة هي الصلاة:

(وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي)

[سورة طه: ١٤]

الآن:

(إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أَخْفِيهَا)

[سورة طه: ١٥]

الحقيقة الثامنة: الساعة وعد صادق:

على الشبكية ماذا ترون؟ ترون بيوتاً جميلة جداً، في بعض الأحياء الراقية بيوت جميلة، مركبات فارهة، نساء جميلات، دخل كبير، مطاعم فخمة، الدنيا محسوسة، والآخرة خبر، خبر في المصحف، البطولة أن تصدق هذا الخبر، لذلك أولى صفات المؤمنين أنهم يؤمنون بالغيب، الدنيا بين أيدي الناس، الدنيا محسوسة، تحت سمعهم وبصرهم، الدنيا قريبة منهم، تأكل فتتلاذذ بالطعام، لكن الآخرة وعد صادق، فالذي آتاه الله عقلاً راجحاً، والذي وفق بسلامته وسعاده لا يتعلق بالمحسوسات، يتعلق بالذي أخبر الله عنه:

(إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ)

[سورة طه: ١٥]

لذلك قال تعالى:

(أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَمَا تَسْتَعْجِلُوهُ)

[سورة النحل: ١]

أي لم يأت بعد، لكن معنى أتى أي مجيئه محقق:

(إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أَخْفِيهَا)

[سورة طه: ١٥]

هي خبر.

الحقيقة التاسعة: الجزاء حق:

أما الدنيا فمحسوسة:

(لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى)

[سورة طه: ١٥]

أي لو أن الإنسان أطاع الله عز وجل فكافأه الله من فوره، ولو أن الإنسان عصى الله فعاقبه الله من فوره لانتهى التكليف، وألغى حمل الأمانة، و ألغى الاختيار، وألغى الثواب، وألغى العقاب، لأن الناس سيقبلون على الطاعة من أجل ثمرتها العاجلة، وبيتعدون عن المعصية من أجل عقابها العاجل، ولكن شاءت حكمة الله أن الثواب والعقاب يتأخران كي تتحقق من اختيارك:

(إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أَخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى)

[سورة طه: ١٥]

الآن الذين يصدون عن سبيل الله هم الأكثرون، العالم كله يصد عن سبيل الله، العالم كله يحارب المسلمين، العالم كله يطرح الفتن بين أيدي الناس، العالم كله يصرف الناس عن الإيمان بالله:

(إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أَخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى * فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى)

[سورة طه]

الحقيقة العاشرة: التلازم الحتمي بين الكفر بالآخرة واتباع الهوى: لمجرد أنك لا تؤمن بالآخرة تتبع الهوى، تلازم حتمي بين اتباع الهوى و بين عدم الإيمان باليوم الآخر:

(فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا)

[سورة طه]

الباطل مزخرف، الباطل محبب إلى النفس، الباطل يعتمد على الشهوات، قال لي أحدهم: مئة محاضرة يلغيتها مسلسل، هذه تصد عن سبيل الله، هذه تحبب بالدنيا، هذه تجعل الشهوة إلهاً يعبد من دون الله:

(فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى)

[سورة طه]

الآن دقق إلى هذا الكلام بين مخلوق هو سيدنا موسى وخالق السماوات والأرض:

(وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى)

[سورة طه]

تلطف اللفظي كلامه مع موسى:

هل يصدق على الذات الإلهية أن يسأل؟ سيدنا موسى أراد أن يطيل الحوار قال:

(قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا)

[سورة طه: ١٨]

يخاطب من؟ يخاطب رب العزة:

(اَتَوَكَّأَ عَلَيْهَا وَأَهشُّ بِهَا عَلَىٰ غَمِّي)

[سورة طه: ١٨]

استحيا من هذه التفصيلات فقال:

(وَلِيَّ فِيهَا مَأْرَبٌ أُخْرَى)

[سورة طه: ١٨]

إذا كان الله يسمح لي أن أحدثه عن هذه المأرب يقول: يا موسى، ما هذه المأرب؟ انظر الأدب والسعادة في خطاب السماوات والأرض:

(وَمَا تَلَكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى * قَالَ هِيَ عَصَايَ اَتَوَكَّأَ عَلَيْهَا وَأَهشُّ بِهَا عَلَىٰ غَمِّي وَلِيَّ فِيهَا مَأْرَبٌ أُخْرَى)

[سورة طه]

معجزات موسى:

١ – انقلاب العصا إلى حية تسعى:

الله عز وجل أراد من هذا السؤال أن يا موسى تأكد هذا الذي بيدك ما هو؟ هي عصاه، لأنها بعد قليل سوف تصبح حية تسعى، أراد الله أن يؤكد له تثبيت أن هذه عصاه، وبعد حين تكون حية تسعى:

(فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى (٢٠) قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ)

[سورة طه]

الإنسان يخاف:

١ – خروج اليد بيضاء بعد إدخالها في الجيب:

(سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى (٢١) وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ)

[سورة طه]

ضعها تحت إبطك:

(تَخْرُجُ بِيَضَاءٍ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةٌ أُخْرَى)

[سورة طه: ٢٢]

يده كالمصباح:

(لِثُرَيْكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى * اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى)

[سورة طه]

فوائد دعوية مستنبطة من قصة موسى مع فرعون:

الفائدة الأولى: تلطف الداعي مع المدعو ولو كان فرعون:

هذا الطاغية الجبار الذي قال:

(أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى)

[سورة النازعات]

الذي قال:

(مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي)

[سورة القصص: ٣٨]

إذا كان فرعون الطاغية الجبار المتأله الذي قتل أبناء بني إسرائيل يقول الله لنبي كريم:
(اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي * واحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي)

[سورة طه]

الفائدة الثانية: العبرة بالعلم والإخلاص لا بالفصاحة والإعراب:

من هو الأفصح؟ هارون أم موسى، هارون أفصح، سيدنا موسى معه حبسة، من هو النبي؟ سيدنا موسى، هذا ملمح خطير العبرة لا بالفصاحة ولا بالخطابة، العبرة بالعقل والوعي والإدراك والإخلاص، إذًا: الفصيح هو سيدنا هارون، لكن الرسول سيدنا موسى:

(واجْعَلْ لِي وَرِيثًا مِنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي * كَيْ تُسَبِّحَكَ كَثِيرًا * وَتَذْكُرَكَ كَثِيرًا * إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا)

[سورة طه]

لذلك برئ من النفاق من أكثر من ذكر الله:

الفائدة الثالثة: إياكم ومعاندة أمر الله فإن فرعون ربي موسى في قصره !!!

(قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى * وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى * إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى * أنْ اقْدِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْدِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ)

[سورة طه]

تروي بعض الروايات أن فرعون رأى رؤيا، أن طفلاً من بني إسرائيل سيقضي على ملكه، بدل أن يتوب قال: سأقتل جميع أبناء بني إسرائيل، عظمة الله أن الطفل الذي سيقضي عليه رباه في

قصره، إياك أن تعاند الله، إياك أن تتألى على الله، إياك أن تتجبر، لحكمة بالغة هو أراد أن يقضي على كل أبناء بني إسرائيل، لكن الطفل الذي سيقضي عليه رباه في قصره:
(يَاخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي)

[سورة طه: ٣٩]

الفائدة الرابعة: إلقاء الله محبة الداعي في قلوب الناس:

الآن لو أنك محبوب، لو أن هناك أناس يحبونك، يجلونك، تأكد أنها محبة الله ألقاها في قلوب العباد:

(وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِيُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي * إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ)

[سورة طه]

الآن هناك كلمتان أتمنى أن تحسوا معي عظمتها:

(وَأَصْطَنِعُكَ لِنَفْسِي)

[سورة طه]

الفائدة الخامسة: خدمة الناس شرفاً كبيراً:

شرف كبير أن تكون في خدمة عباد الله؟ أي شرف تناله إذا اختارك الله لنفسه:

(وَأَصْطَنِعُكَ لِنَفْسِي)

[سورة طه]

الآن كل شاب يمكن أن يبذل طاقاته في سبيل الله، أن يمشي في هذا الطريق، أن تجمع طاقاتك، إمكاناتك، أن تبذلها في سبيل الله هذا مقام كبير:

(وَأَصْطَنِعُكَ لِنَفْسِي * اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي دِجْرِي * اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ)

[سورة طه]

دققوا الآن:

(فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيْنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ)

[سورة طه]

الفائدة السادسة: هذه رحمة الله بالعاصي فكيف رحمته بالمطيع؟!!!

إنسان ناجى ربه فقال: يا رب، إذا كانت رحمتك بمن قال:

(أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ)

فكيف رحمتك بمن قال: سبحان ربي الأعلى ؟ إذا كانت رحمتك بمن قال:

(مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي)

فكيف رحمتك بمن قال: لا إله إلا الله:

(قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى)

[سورة طه]

الآن المسلمون يخافون أن يفرط عليهم وحيد القرن، أو أن يطغى:

(قَالَ لِمَا نَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى)

[سورة طه]

آيات دقيقة جداً، إنني معكما، الله موجود، الله معنا، أقم علاقة طيبة معه، أقم صلة معه، ولا تخف
أحدًا:

(إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى * فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا نُعَذِّبَهُمْ قَدْ

جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى)

[سورة طه]

الفائدة السابعة: من صفات الصالحين: مناجاة رب العالمين:

أيها الإخوة الكرام، هذه القصص لنا، إذا أتيح لك أن تتصل بالله، أتيح لك لا أقول: أن تكلمه، هذه
لسيده موسى، أتيح لك أن تتناجيه، أن تدعوه، إن أردت أن يكلمك الله عز وجل فاقراً القرآن، وإن
أردت أن تكلم الله عز وجل فادعه، إنك إن دعوته تكلمه، وإنك إن تلوت كلامه يكلمك.
لذلك أيها الإخوة الكرام، أن تتناجى ربك، أن تتبهل إليه، أن تعذر إليه، أن تسأله المغفرة، أن تسأله
أن يقبل عثرتك أن يغفر زلتك، أن يعطيك من خير الدنيا الآخرة، هذا جوهر هذا الدين.

والحمد لله رب العالمين